

د. خيرالدين دعيش
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سطيف 2

مقياس نظرية الأدب للسنة الثانية ليسانس

المحاضرة : المحاكاة عند أفلاطون وأرسطو .

نظرية المحاكاة أعرق نظرية أدبية، منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وقد صاغ مبادئها أفلاطون، ثم أرسطو في كتابه (فنّ الشعر)، وقبلهما لم تكن إلا آراء متفرقة ومختلفة هنا وهناك، فغاية الشعر عند هوميروس "الامتاع الذي يولده نوع من الشعر"، أما هسيود فيري أن وظيفة الشعر هي "التعليم ونقل رسالة سماوية" وفيها بدأ الصراع بين الفلسفة والشعر، وبدأ نقد الشعر من منظور أخلاقي مفاده أن هذا الحس الأدبي مجاز ولغز يحجب الحقائق العلمية والأخلاقية، وقد كان لأفلاطون أوراق جيدة في نقده للشعر والشعراء ضمن كتاباته.

1. أفلاطون (427-347 ق.م):

آثر أفلاطون أن يعالج مسألة الشعر ووظيفته في شكل محاورات ضمن النقاش الجاد بين الفلاسفة، أو بينه وبينهم، وقد ظهر هذا النقاش في مثل المحاورات التي وصلتنا (أيون)، (الجمهورية) (القوانين)، ولم يخصص أفلاطون كتابا مستقلا يعالج فيه الظاهرة الأدبية الفنية، بل إن جملة آرائه حول الأدب تستوحى من هذه المحاورات فقد عمل على تصنيف الناس في كتابه الجمهورية المثالية وتحديد وظائفهم، وكذا تحديد وظيفة الشعر فيها ودور الشعراء.

يرى أفلاطون ان كل الفنون قائمة على التقليد (محاكاة للمحاكاة)، ويستند في هذا الرأي إلى الفلسفة المثالية التي ترى أن الوعي أسبق من المادة في الوجود، فالعالم عنده عالمان، عالم مثالي وعالم محسوس طبيعي مادي، والعالم المثالي أو عالم المثل يتضمن الحقائق المطلقة والأفكار الخالصة والمفاهيم الصافية، أما عالم الموجودات أو الطبيعي بكل ما يحتويه من أشجار وأشياء وأنهار وأدب ولغة... مجرد صورة مشوّهة ومزبّغة عن عالم المثل الأول الذي خلقه الله، أي ان العالم الطبيعي محاكاة لعالم المثل والأفكار الخالصة لذلك فهو ناقص ومزبّف وزائل، فالأشجار المتعددة في العالم الطبيعي مجرد محاكاة لفكرة الشجرة الموجودة في عالم المثل، وتعدّ الأشجار في العالم الطبيعي علامة على عدم تطابقها مع تلك الفكرة وعلامة على أنها ناقصة ومشوّهة، ثم يأتي الفنان أو الشاعر يحاكي العالم الطبيعي المحسوس فيصبح عمله محاكاة لما هو محاكاة أصلا، وبالتالي فهو يتعد عن الحقيقة بدرجة ثانية ويصبح العمل محاكاة للمحاكاة.

ويعتقد أفلاطون أن عمل الأديب يشبه عمل المرأة، أي إن محاكاته للأشياء والظواهر آلية فتوغرافية، أي عرفية، لذلك فهو لا يقدم سوى صورة مزيفة لا حاجة لنا بها، لأن ما نحتاجه وينفعنا هو الأصل لا الصورة، أما إذا قام الشاعر بتصوير الظواهر بشكل غير عرفي كأن يزيد عليها أو ينقص منها فيصبح غير صادق فيما ينقل، ويضيف أفلاطون بأن الشعراء لا يعرفون أصلا أية معلومات عن الموضوعات التي يحاكونها، فمثلا (هوميروس) يصف المعارك ولكنه لا يعرف شيئا عن التقنية العسكرية والخطط الحربية، ويصف الطب ولكن لم نعثر له عن كتاب في مبادئ الطب.

لقد حاول أفلاطون أن يؤجّج الصراع بين الشعر والفلسفة، لأن الأشياء التي تمثلها الفنون حقائق جوهرية يدركها العقل والشاعر بعيد تماما عن استخدام العقل، وبالتالي فهو بعيد عن الحقيقة التي يعدها أسمى الغايات (فعنده أسمى الغايات هي معرفة الحقيقة)، ولذلك يتحدّد مكان الفن والأدب عنده بمقدار ما يقدمه في مجال هذه المعرفة، والمعرفة عنده أو الحقيقة لا تُلمس من خلال الحواس لأن المحسوس جزئي وهمي زائل، ولذلك فغن أفلاطون يرفض الشعر والفن لأنه لا يعالج الحقيقة بل يكتفي بتمثيل معطيات

الحواس، فالحقيقة لا تلمس عند الشعراء بل عند الفلاسفة، لن الشعراء يخاطبون العاطفة أكثر مما يخاطبون العقل، بدلا من أن تكون مهمة الشعر تجفيف العواطف نراه يقوم بتأجيحها، وبهذا يبعد الناس عن استخدام العقل، لذلك نجد أن أفلاطون في تناوله لماهية الأدب ووظيفته، كان منصبا على بيان أثر هذا الأدب في السلوك الإنساني، فليست الغاية من وراء الشعر الرقص والشطحات والمتعة لكونه شعرا حافلا بالعواطف والأحاسيس بقدر ما هناك منفعة أخلاقية ومعرفية موكلّة إليه، تركز على العقل ولا تلغي العواطف.

وإذن فصل أفلاطون بين المتعة والمنفعة، واهتم بالمنفعة وحدها، وهو مع ذلك قد يعرف أحيانا بأن لدى الشعراء قدرا من الحكمة، كما يعترف أحيانا أخرى بفتنة الشعر وخطورة وظيفته الاجتماعية، غلا أنه على الرغم من اعترافه بالشعر وحقيقته فإنه يدين الشعر والشعراء باسم الأخلاق مرة وباسم الحقيقة مرة ثانية، فالشعراء عنده منسدون للمثل العليا ولأخلاق الناس، لذلك طردهم من جمهوريته، لكن حكمه لم يشمل جميع الشعراء، بل أدخل بعضهم لكن بشروط، كالقصاصد التي تز... بالبطل والآلهة العظام والمشاهير من الملوك والقواد، ولا يجوز للشاعر أن يكتب قصيدة تتعارض مع ما هو شرعي وخير، ولا يجوز لن أن يطلع أحدا على قصائده قبل عرضها على القضاة وحراس القوانين.

وبهذا يكون أفلاطون قد رفض مبدأ (الفنّ للفنّ) وقال بالفنّ الأخلاقي والملتزم بالشرعي شكلا ومضمونا، وفضل بذلك الملحمة واعتبر الفن القصصي هو الأفضل لا للفن التراجيدي لأن الملحمة تثير عاطفة الاعجاب بأبطالها، أما التراجيديا فإنها تثير عاطفتي الشفقة والخوف وبالتالي تجعل الناس أكثر ضعفا، لذا يجب أن تتلقى الشعر كشكل فني وليس على أساس أنه ظاهرة علمية لها علاقة بالحقيقة، فأفلاطون أول من ميّز بين النقد الأخلاقي والنقد الجمالي، وانتقد تأثير الفن والأدب على سلوك المواطنين، واعتبر هذا التأثير غير صالح وغير خير، فطرد بعض الشعراء وألزم البعض الآخر بضبط أعمالهم ومراقبتها.